١١- سبُّ الدهر

السب هو الشتم، والدهر هو الزمن سواءً كان ليلًا أو نهارًا أو يومًا أو ساعةً أو سنين أو شهور . وقد كان من عادات الجاهلية عند نزول المصائب بهم سب الدهر (الزمن) وتنقُّصه فنهى الله المسلمين عن ذلك، إذ أنَّ الليل والنهار من آيات الله الباهرة التي خلقها وسخرها لصالح البشر وغيرهم من الكائنات المخلوقة، فلا يجوز عيبها ولا شتمها ولا تنقصها حيث أنها من مخلوقات الله مسخرة بأمره سائرة وفق توجيهه وحكمته وإرادته وقضائه وقدره، فمن شتمها أو عابها فقد آذى خالقها، وخالقها هو الله تعالى. والدليل قوله ﷺ: «**لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر**»، (لا تسبوا الدهر) فيه نهي عن سب الدهر (الزمن) ، (فإن الله هو الدهر) يعني أن الله هو خالق هذا الدهر.

أمثلة على سب الدهر:

وذلك كقول: الزمن غدار، و هذا زمان سوء، وهذا يوم شؤم، وتلك ساعة نحس، فكل هذا من سب الدهر وهو يرجع على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لأنه هو الذي خلق الدهر. وسب الدهر يعتبر من الشرك إلا أنه قد يكون شرك أكبر وقد يكون شرك أصغر بحسب نية واعتقاد الشخص الذي سب الدهر كما سيأتي بيانه إن شاء الله.

س: متى يكون سب الدهر شرك أكبر ومتى يكون شرك أصغر؟

جـ: يكون سب الدهر شرك أكبر إذا كان الشخص يقصد في سَبِّه للدهر سب الله تعالى فهذا بلا شك من الشرك الأكبر الذي يخرج صاحبه من ملة الإسلام، كأن يقول مثلًا: (هذا يوم أغبر) وهو يقصد في قرارة نفسه سب الله عَزَّوَجَلَّ فيعتبر ذلك قد وقع في الشرك الأكبر عياذًا بالله. وأما إذا كان الشخص قد سبَّ الدهر ولكنه لم يقصد سب الله تعالى بذلك فهذا يكون قد وقع في الشرك الأصغر الذي لا يخرجه من ملة الإسلام ولكنه وقع في ذنب عظيم أكبر من الكبائر. وهناك أدلة أخرى تدل على أن سب الدهر محرم وأنه من الشرك كما ستأتي:

- في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**قال الله تعالى: يؤذيني ابن آدم يسبُّ الدهر، وأنا الدهر، أُقلِّب الليل والنهار**».

- وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية].

تُبطل هذه الآية الكريمة ما يعتقده مشركوا العرب من نسبة الأحداث إلى مرور الزمن من ليل ونهار وأن هذا هو السبب في موتهم، فردَّ الله على هؤلاء المشركين الجاهلين بأنهم لا يعلمون وأن زعمهم هذا فاسد وباطل.

س: كيف يتوب من سبَّ الدهر ولكنه لم يقصد أنه يسبُّ الله تعالى بذلك؟

جـ: من سبَّ الدهر وهو لا يقصد أن يسب الله تعالى بذلك يكون قد وقع في الشرك الأصغر - كما أسلفنا - والذي لا يخرجه من ملة الإسلام لكنه ذنب عظيم أكبر من الكبائر، وكفارة ذلك هي كفارة الشرك الأصغر التي ذكرناها سابقًا في موضوعين (تعليق التمائم والحلف بغير الله) ونبَّهنا على ضرورة حفظه وهو أن تقول كما جاء في الحديث: «**اللهم إنني أعوذ بك أن أشرك بك شيئًا وأنا أعلم وأستغفرك من الذنب الذي لا أعلم**» رواه البخاري وأحمد.

يقول الشاعر:

نعيب زماننا والعيب فينا ... وما لزماننا عيب سوانا

ونهجوا ذا الزمان بغير ذنب ... ولو نطق الزمان لنا هجانا